المواطنة في فكر التيارات السياسية العربية والاسلامية المعاصرة

م.م وليد مساهر حمد

جامعة تكريت /كلية العلوم السياسية

م.م علي رمضان صالح

alicamadan50@gmail. com

جامعة الكتاب الاهلية / كلية القانون / قسم العلاقات الدولية والدبلوماسية

CITIZENSHIP IN THE THOUGHT OF CONTEMPORARY ARAB AND ISLAMIC POLITICAL CURRENTS

Assist. Lecturer. Waleed Masaher Hamed
Tikrit University/College of Political Science
Assist. Lecturer. Ali Ramadan Salih
Al-Kitab National University / College of Law / Department of International and Diplomatic Relations

المستخلص

رغم اختلاف المفكرين في تعريف محدد للمواطنة الا انه بشكل عام تم الاتفاق على عدة اسس تقوم عليها : ومنها هي شعور قيمي ووجود علاقة بين طرفين، و تتمثل داخل الوطن، و تفاوت بين الأفراد بالإحساس بهذه العلاقة، و هناك حقوق (طبيعية) و حقوق مكتسبة معنية بالمواطنة (مدنية وسياسية)، رغم ظهورها وتطورها بهذا المصطلح في الغرب الا انها لها جذور في الفكر السياسي الاسلامي متمثلة (بصحيفة المدينة)، ولها ممارسة وتطبيق على ارض الواقع العربي والاسلامي ، رغم اختلاف التيارات الفكرية الاسلامية والعربية حول المصطلح وليس حول المفهوم ومدلولاته الفكرية.

الكلمات المفتاحية: المواطنة ، التيارات، الاسلامية

Summary:

Although the thinkers differ in a specific definition of citizenship, between them is a relationship that links a relationship between two parties and within the homeland, and a difference between individuals with feeling, and there are (natural) rights and

acquired rights whose roots are rooted roots are roots roots are roots are roots are roots, despite their appearance, despite Different Islamic and Arab ideas about the concept of the concept and its intellectual implications.
Keywords: citizenship, currents, Islamic

المقدمة

يعد مفهوم المواطنة من المفاهيم الاساسية، وذات تأثير على مستوى الفكر السياسي القديم والوسيط والمعاصر، وهي نتاج البيئة الفكرية الغربية، ولكن وجدت لها صدى في الفكر الإسلامي القديم والمعاصر الذي يعيش حالة التجديد لكي يتفاعل مع الواقع السياسي الذي تحكمه منظومة فكرية عامة تقوم على مفهوم الدولة القومية أو الوطنية.

شهدت العقود الاخيرة من القرن الماضي احداث متلاحقة جعلت عملية التغيير امراً حتمياً في معظم دول العالم ومنها الدول العربية الاسلامية، التي تخشى ان تؤدي هذه التحولات الاجتماعية المتسرعة والمرتبطة بالتطور العلمي السريع الى تأثير على قيمها ومبادئها وعاداتها وتقاليدها، حيث يراد اضعاف الهوية الوطنية واذابة المجتمعات في النسق الثقافي الغربي فكرياً واقتصادياً وسياسياً وانتقاص بعض الحقوق وخاصة السياسية منها، حيث تباينت الآراء والمواقف حول موضوع المواطنة الى تيارات مختلفة.

وفي هذا السياق لما لموضوع المواطنة من اهتمام كبير في الفكر السياسي، سواء منذ تداول المفهوم في العصور القديمة، مروراً بالعصور الوسطى والحديثة، وايضاً تداول المفهوم في الفكر العربي والاسلامي المعاصر، لذلك تناول البحث دراسة المواطنة والبحث عن مفهومها في المعاجم الانكليزية والعربية لغرض توضيح وايجاد تعريف محدد للمواطنة، وايضاً البحث في بداية ظهورها، واخيراً موقف الفكر العربي المعاصر من المواطنة.

اهمية البحث: تكمن أهمية الموضوع بكونه يمس حياة الشعوب العربية بشكل مباشر في نشر ثقافة المواطنة وأهميتها، وفي معرفة المواطنين لحقوقهم وواجباتهم دون تمييز

بين مواطن وآخر، وكذلك، ترسيخ الشعور بالمواطنة والولاء للوطن من أجل الوصول إلى عملية تنمية شاملة ومستمدة تحقق طموحات وأهداف الجماهير العربية .

اشكالية البحث: تنطلق اشكالية البحث من الأسئلة الاتية:

١. ما هو مفهوم المواطنة، وماهي المصطلحات المقاربة لها؟
٢. وماهي الجذور والتطور التاريخي للمواطنة؟
٣. وما هي مواقف التيارات الفكرية العربية والاسلامية واتجاهاتها؟
٤. وهل المفهوم وافد للفكر العربي والاسلامي من الغرب ام نابع من تراثه؟
٥. وهل الفكر العربي والاسلامي قد مارس المواطنة منذ بدء الاسلام الى وقتنا الحاضر؟

فرضية البحث: تنطلق فرضية البحث بان مفهوم المواطنة له جذور في الفكر العربي والاسلامي ولكن بصيغة مختلفة، وله وممارسة على ارض الواقع ، منذ بدء الاسلام الى وقتنا الحاضر رغم اختلافات التيارات الفكرية العربية والاسلامية اتجاهها.

منهجية البحث: استخدم في البحث كل من المنهج التاريخي من خلال البحث في المواطنة منذ ظهورها في العصور القديمة الى الوقت الحالي، وايضاً تم استخدام المنهج التحليلي والمنهج المقارن في ما يتعلق المواطنة في الفكرين الغربي والعربي، والاختلافات بين مواقف التيارات العربية اتجاهها.

هيكلية البحث: قسم البحث الى مقدمة وثلاثة، مطالب: تناول المطلب الاول مفهوم المواطنة في اللغة والاصطلاح، في حين تناول المطلب الثاني التطور التاريخي للمواطنة، اما المطلب الثالث فتناول موقف الفكر العربي والاسلامي المعاصر من المواطنة واخيراً خاتمة موجزة للبحث.

المطلب الاول: مفهوم المواطنة

بقدر ما اصبح مفهوم المواطنة مفهوماً حياً ومتحركاً في اطار سيرورة تاريخية مستمرة بقدر ما ثار صعوبة واضحة في ايجاد تعريف مانع وجامع له فماذا نعني بالمواطنة؟ وماهي المصطلحات المقاربة لهذا المفهوم؟ وكيف ظهر وتطور تاريخياً؟ كل هذه الأسئلة سوف نحاول الإجابة عليها بشكل مختصر في هذا المطلب.

اولاً: مفهوم المواطنة (لغة واصطلاحا) Citizenship:

أ – المواطنة لغةً : والمواطنة تعني: المنزل تقيم به ، وهو موطن الإنسان ومحله. والجمع أوطان ، ومواطن مكة: مواقفها ، ومن ذلك: وطن المكان ، وأوطنه: اتخذه وطناً. يقال: أوطن فلان أرض كذا وكذا ، أي: اتخذها محلاً ومسكناً يقيم فيه[١]، والمواطنة في الاصل مشتقة من كلمة (مواطن)، وتعني ان الانسان بطبيعته مواطن ينتمي الى مجتمع معين بحكم العرف[٢]، والاصل اللغوي لكلمة المواطنة من(polis) وتعني المدينة، اذ تعد بناء حقوقياً ومشاركة في شؤون المدينة، كما تستخدم المواطنة كترجمة للكلمة الفرنسية (citoyenneté) وهي مشتقة من كلمة(cite)، وتقابلها باللغة الإنجليزية كلمة (citizenship) المشتقة من كلمة (city) أي المدينة[٣].

ب – المواطنة في الاصطلاح: عرفت المواطنة على " انها مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي(دولة*)، ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الاول الولاء، ويتولى الطرف الثاني الحماية، وتتحدد هذه العلاقة عن طريق قانون"[٤].

فالمواطنة هي شعور بالانتماء الى جماعة اجتماعية لها ثقافة وتاريخ ومصير مشترك، وينظم هذا الشعور اجتماعياً وقانونياً وسياسياً، ويسهم الفرد بهذا الانتماء بشكل فاعل في الحياة الاجتماعية[١].

---

[١] محمد ابن منضور، لسان العرب، ج١٥،(القاهرة: دار المعارف، د ت)، ص٣٣٨.

[٢] مراد وهبه: المعجم الفلسفي،(القاهرة: دار قباء الحديثة ، ٢٠٠٧)، ص٦٢٩.

[٣] نقلاً عن: ديملي فلاق، حفاف لويزة، مفهوم المواطنة والسيادة عند جان جاك روسو، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجيلالي بونعامة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة،٢٠١٥،ص٢٦.

* الدولة : هي مجموعة من الأفراد يمارسون نشاطهم على إقليم جغرافي محدد ويخضعون لنظام سياسي معين، ويقول الاستاذ عبدالله العروي ان "الدولة سابقة على فكرة الدولة" واي تساؤل عنها يعني بالضرورة تساؤل حول الاصل والهدف، او حول التطور والمستقبل، او الوظائف والوسائل. فأي فكرة حول الدولة يدور حول هذه المحاور (الهدف، والتطور، والوظيفة)، وما يخص مفهوم الدولة في كافة مجالات الحياة سواء منها (الاقتصادية والاجتماعية، والثقافية، والقانونية) وغيرها، فكل منها يسعى لتفسير هذه الظاهرة من منطلق الهدف الذي يرمون الى تحقيقه من خلالها، وكيفية تطورها، الوظائف الموكلة اليها، من دون تفسير الظاهرة بما هي قائمة في حد ذاتها، للمزيد ينظر: عبدالله العروي، مفهوم الدولة، ط٩، المركز الثقافي العربي، بيروت،٢٠١١، ص٧-٨.

[٤] نقلا عن: سميرة لغويل، قيم المواطنة في المجتمع الجزائري: دراسة تحليلية، مجلة الاستاذ للعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة باتنة- الجزائر ، مج ٥٨، العدد٢، ٢٠١٩،ص٦.

فالمواطنة " تعني العضوية الكاملة والمتساوية في المجتمع بما يترتب عليها من حقوق وواجبات"[٢]. وحددت المواطنة في ثلاث منظورات متشابكة الابعاد للمفهوم:

١- المنظور الوطني (القانوني) : يتأسس على حقوق التمتع بالحرية القائمة على قانون وما يقابلها من التزامات على المواطن[٣]، والتعريف الاتي يوضح هذا الجانب ، فالمواطنة كونها "علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق في تلك الدولة أذ أن كل مواطن له نفس الحقوق والواجبات فاذا كان الشخص لديه الحق ،يجب أن يكون هناك شخص ما لديه واجب مماثل للوفاء بهذا الحق" [٤].

٢- المنظور السياسي: ويعطي المواطن الحق في الاشتراك في صنع القرار السياسي، وان يكون عضواً فعالاً في السلطة السياسية[٥]، تركز على عضوية المواطن السياسية، ومنها تعريف دائرة المعارف الأمريكية لها بأنها "على وجه العموم تسبغ على المواطن حقوقاً سياسية، مثل حق الانتخاب وتولي المناصب العامة"[٦].

٣- المنظور الاجتماعي: الذي يؤكد على حق الفرد ان يعيش حياة امنة وكريمة، تحقق الرفاهية الاجتماعية[٧]، يمكن الإشارة إلى أحد التعاريف بهذا الخصوص

---

[١] المصدر السابق، ص٨.

[٢] اسامة عبد علي خلف، مفهوم المواطنة- دراسة نظرية تفصيلية، مجلة كلية التربية بنات، جامعة بغداد، مج ٢٥، العدد٢٠١٤،٢،ص٤٤٤.

[٣] نقلا عن: احمد مجدي حجازي، المواطنة وحقوق الانسان في ظل المتغيرات الدولية الراهنة، (القاهرة: الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٩)،ص٢٣.

[4] Veera Ilona lija, An Analysis of the Concept of Citizenship: Lagal, political and social Dimensions, Masters thesis, university of Helsinki, Faculty of social sciences, social and Moral Philosophy, 2011,p13.

[٥] احمد مجدي حجازي ، مصدر سبق ذكره،ص٢٣.

[٦] نقلاً عن: علي خليفة الكواري، مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية، مجموعة باحثين، الديمقراطية والتنمية الديمقراطية في الوطن العربي،ط١،(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،٢٠٠٤)،ص٩٣.

[٧] احمد مجدي حجازي ، مصدر سبق ذكره،ص٢٣.

التي ترى في المواطنة "رابطة اجتماعية وقانونية بين الأفراد ومجتمعهم السياسي الديمقراطي ، وتتضمن مسؤوليات وواجبات يجب أن تنفذ"[١].

فالمواطنة مصطلح معقد ، بسبب التغيير الحاصل في تعريفه من مدة الى اخرى، ومع هذا التعقيد فان هناك شيئا ثابتا فيه هو أن المواطنة تتضمن التزاما بين الذات والآخر، وتعريفه ضمن المجتمع ، وعد مصالح المجتمع بمثابة مصلحة للفرد .

ومن خلال تحليل جملة التعاريف الواردة يمكن إدراك إنها توكد على[٢]:

١- المواطنة هي شعور وإحساس جمعي قيمي.

٢- وجود علاقة بين طرفين(الفرد/ مجتمع- دولة).

٣- داخل حيز جغرافي محدد وهو الوطن.

٤- ان هناك تفاوت بين الأفراد بالإحساس حول هذه العلاقة وان هذا التفاوت متأتي من اختلافات وتباينات قيمية داخل الجماعة

٥- ان هناك حقوق (طبيعية) لا يمكن التخلي عنها، وحقوق مكتسبة معنية بالمواطنة (مدنية وسياسية).

ثانياً: المصطلحات المقاربة Asymptotic terms

١- **المواطن** (citizenship): هو الفرد الذي يستقر بشكل دائم داخل الدولة ويحمل جنسيتها ويتمتع بالحقوق المدنية والسياسية،[٣] فالمواطنة هي التعبير القانوني عن الوجود السياسي للوطن والمواطن معاً وهي المدخل الأساسي للنهوض الوطني وهي حجر الاساس لتطوير الوطن أبتداءاً من نظامه السياسي والاجتماعي والاقتصادي[٤].

[١] بتول حسين علوان ، المواطنة في الفكر الاسلامي المعاصر، اطروحة دكتوراة غير منشورة، جامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية، ٢٠٠٦،ص٢٠.

[٢] كمال حسين دهام، مفهوم المواطنة واليات تعزيزها، مركز الدراسات الاقليمية، جامعة الموصل، العدد١٣، ٢٠١٩،ص٣.

[٣] ياسين محمد حمد، المواطنة في ظل العولمة، مجلة قضايا سياسية، جامعة النهرين ، كلية العلوم السياسية، العدد ٣٥-٣٦، ٢٠١٤،ص٢٤٨.

[4] Gabriel de la paz, citizenship and social inequality, enter time 2019\10\13 across https://www.civiced.org/pdfs/delaPazGabriel.

٢- **الجنسيّة**(Nationality): هي رابطة قانونية تنظم الواجبات وتمنح الحقوق والمميّزات لمن يحملها ، اما المواطنة فهي الرابطة المعنوية بين الفرد ووطنه حتى لو كان يحمل جنسية مزدوجة [١].

٣- **الوطنية** (National): وهي حب الوطن والشعور الباطن بالانتماء اليه والرغبة في العيش فيه، فعندما نقول ان المواطنة فيها (ركن معنوي)، فهي تقترب بمفهومها من الوطنية وعندما نقول ان المواطنة لها (ركن مادي) فهي تقترب من مفهوم(الجنسية)[٢] .

٤- **الوطن** (Motherland): وهو البقعة الجغرافية التي يعيش عليها الانسان، وتحددها السياسة ذات السيادة، وتتبع الوطن بالإضافة الى الارض والمياه الاقليمية والهواء[٣].

٥- **الهوية** (Identity): هي المركب المتجانس من القيم والذكريات والتعبيرات والتطلعات التي تحفظ ذاكرة جماعة بشرية عن الجماعات الاخرى وهي على انواع: **فردية** ، هوية الفرد داخل جماعة الانتماء الى طائفة، **وجماعية**: هوية جماعة داخل الامة ، لكن تميزها ثقافة مشتركة، وهوية **الامة**: هي الجامعة للجماعات والثقافات المشتركة داخل امة واحدة وتميزها عن الامم الاخرى.

المطلب الثاني: التطور التاريخي للمواطنة

اختلفت مواقف وافكار الباحثين حول الجذر التاريخي لمفهوم المواطنة، إذ أن إحدى الدراسات ترى أن هذا المفهوم ظهر الفكر السياسي العقلاني التجريبي ، من دون أن تحدد مدة زمنية لظهوره، في حين ترجعه دراسة أخرى إلى ظهور الدولة القومية، بينما اغلب الدراسات تشير إلى أن هذا المفهوم ارتبط بالفكر اليوناني القديم،

[١] احمد صدام ايدام، سبل تعزيز ثقافة المواطنة في عراق ما بعد التغير السياسي، مجلة تكريت للعلوم السياسية، جامعة تكريت، كلية العلوم السياسية، العدد١٥،٢٠١٨،ص٦٧.
[٢] ياسين محمد حمد، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٧.
[٣] المصدر نفسه ،ص ٢٤٧.

علما بأن هذه الدراسات وغيرها لم تغفل التطورات التي شهدها المفهوم على صعيد الممارسة والنظرية[١] .

ومن الناحية التاريخية فان فكرة المواطنة مرتبطة **بالاغريق** وحضارتهم، وبدأت بالبروز في بداية القرن السادس ق. م وكانت المواطنة عندهم تشمل الرجال البالغين فقط، ووفقا لهذه الدراسات فأن اليونانيين أول من ارخوا عن المواطنة وممارستها، فلقد كانت المواطنة تشير إلى حق الفرد البالغ في المشاركة السياسية في مجتمع المدينة[٢]، ويلاحظ على مفهوم المواطنة في اليونان انه قائم على مبدأ المساواة في المجالات القانونية والسياسية لمن يشملهم مصطلح المواطنة، كما أن هذا المفهوم كرّس نظرة اللامساواة الاجتماعية لأنه اصبح مقصورا على وهي طبقة النبلاء ورجال الدين[٣].

وفي عهد **الإمبراطورية الرومانية** حصل تغّير في مفهوم المواطنة وكانت الفكرة عند الرومان مبنية على اساس الرؤية الاغريقية، وكان المجتمع الروماني يميز بين الاحرار والعبيد وفي سنة ٢١٢ ق م ، تقرر فتح جميع سكان الامبراطورية حق المواطنة هنا يقصد الاحرار فقط دون العبيد والنساء[٤] ، وفي هذه المرحلة اتصفت المواطنة باللامساواة بين الشعوب، مثلما كانت في المدن الإغريقية أما في المرحلة الثانية فقد اصبح معيار الولاء، وليس السكن، هو الأساس في اتصاف الفرد بالمواطنة، فقد اصبح كل ابناء الشعوب الخاضعة للإمبراطورية مواطنين[٥].

ولقد تراجع مفهوم المواطنة من الناحية التطبيقية خلال **العصور الوسطى الأوربية** التي امتدت من ٣٠٠-١٣٠٠ ب م وذلك بعد ان اندثرت التجارب الديمقراطية المحدودة في دائرتي الحضارتين الاغريقية والرومانية من جهة ، وتوجه الحضارات السائدة آنذاك الى اقامة حكم ملكي مطلق غير مقيد من جهة اخرى[٦] ، وطبقا لذلك فأن

[١] بتول حسين علوان ، مصدر سبق ذكره، ص٨.
[٢] سهاد عادل احمد، الاقليات والوحدة الوطنية في العراق المعاصر، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة المستنصرية، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، ص٢٩.
[٣] بتول حسن علوان، مصدر سبق ذكره، ص١٠-١١.
[٤] سهاد عادل احمد، مصدر سبق ذكره، ص٣٠.
[٥] بتول حسين علوان، مصدر سبق ذكره، ص١١.
[٦] علي خليفة الكواري، مصدر سبق ذكره، ص ٨٥.

مفهوم المواطنة هو الآخر شهد تطورا إذ ارتبط بالمسألة الدينية، فالمسيحي هو المواطن من دون غيره من أبناء المدن الأخرى كاليهود،كما أن هذا المفهوم قد تطوّر لاحقا ليصبح مفهوما وظيفيا، فالذي يعمل عملا مفيدا للمجتمع يعد مواطنا[١].

ويعود تاريخ ابداع المواطنة في اوربا بعد اكتشافه الى بداية ظهور الفكر السياسي العقلاني التجريبي وتزايد تأثيره نتيجة حركة **الاصلاح الديني** وما تلاها من **حركات النهضة والتنوير** في الحياة السياسية[٢]، سعى **عصر فلاسفة التنوير** إلى صياغة مفهوم جديد للمواطنة يتلاءم مع المنظومة الفكرية لدى كل مفكر فيما يرتبط بالمجتمع والدولة والسلطة، اذ أن المفكرين هوبز** ولوك*** وروسو**** أرادوا الخروج

---

[١] بتول حسين علوان، مصدر سبق ذكره، ص١٢-١٣.

[٢] علي خليفة الكواري، مصدر سبق ذكره، ص٨٦.

** توماس هوبز عالم رياضيات وفيلسوف إنجليزي وهو أحد أكبر فلاسفة القرن السابع عشر بإنجلترا وأكثرهم شهرة خصوصا في المجال القانوني حيث كان بالإضافة إلى اشتغاله بالفلسفة والأخلاق والتاريخ، فقيها قانونيا ساهم بشكل كبير في بلورة كثير من الأطروحات التي تميز بها هذا القرن على المستوى السياسي والحقوقي ولد (١٥٨٨-١٩٧٩م) في مدينة مالمسبري الإنكليزية لوالد كان قساً بسيطاً تميز بطبع حاد،، له العديد من المؤلفات منها (عناصر الفلسفة : المواطن) عام ١٩٥٤م، وعندما اندلعت الحرب الأهلية في إنجلترا لجأ بمحض إرادته إلى فرنسا، وبعد عودته منها وضع كتابه الشهير (اللفياثان الوحش التين) عام ١٦٥٠، دون أن يقتصر عمله على هذين الكتابين حيث وضع كتباً أخرى تتعلق بالمنطق والرياضيات وفلسفة القانون، وكان من دعاة الملكية المطلقة في نظرية العقد الاجتماعي التي دعى اليها بالاشتراك مع غيره من الفلاسفة حول نظرية العقد الاجتماعي، اتسم فكره بالخوف نتيجة الاوضاع السائدة في بلده، مما جعل أفكاره تعبيرا عن خوفه هذا ورد فعل عليه. للمزيد ينظر: عبد الرضا الطعان واخرون، الفكر السياسي الغربي الحديث والمعاصر، دار السنهوري، ج١، بغداد، ٢٠١٨، ص٣٨ .

* **جون لوك فيلسوف وطبيب ورجل سياسي انكليزي، ولد في راينتون في دوقية سومر ستشير الواقعة جنوب غربي انكلترا من عائلة بروتستانتية ذات اصول متواضعة، الف لوك عدة كتب ضمنها فلسفته العامة وأفكاره السياسية، من هذه المؤلفات: "رسائل حول التسامح" ظهر عام ١٦٨٩ وكتاب "بحث في الحكومة المدنية"عام ١٦٩٠ و "بحث في ملكة الفهم البشري" عام ١٦٩٠ و "المسيحية المتعلقة" ، للمزيد ينظر: عبد الوهاب الكيالي و آخرون، **موسوعة السياسة**، ج٥، ط١،(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٤)، ص٥٠٨-٥٠٩.

**** جان جاك روسو ولد في جنيف (١٧١٢ - ١٧٧٨م)،هو كاتب وأديب وفيلسوف، يعد من أهم كتاب عصر التنوير، ابن إسحاق روسو صانع ساعات وسوزان برنارد. توفيت والدة جان جاك روسو بعد تسعة أيام من ولادته، وعليه تربى وتعلم جان جاك روسو في كَنَفِ والده حتى سن العاشرة. ترك روسو المدينة في السادسة عشر من عمره وتأثر بامرأة كاثوليكية نبيلة تدعى دي وارنز ومن هناك تحول إلى الكاثوليكية الرومانية امضى وقتًا قصيرًا يتدرب فيه ليصبح قسيسًا ثم انتقل إلى ليون في عام ١٧٤٠ ليصبح مدرسًا، والتقى بـ دينيس ديدرو وعمل كسكرتير للسفير الفرنسي في البندقية، وبدأ في كتابة بعض المساهمات في موسوعة ديدرو ودالمبرت. له العديد من المؤلفات منها (جولي) و (إميل)

بالمواطنة من مجرد الانتماء إلى دين أو طبقة إلى مفهوم سياسي يعتمد الأمة والدولة معيارا ، فهم نظروا إلى المواطنة على أنها تكتسب سياسيا وليس دينيا أو طبقيا كما كان شائعا في العصور الوسطى[١] .

لقد احدثت حرب الثلاثين عاماً التي اندلعت في الفترة ما بين عامي (١٦١٨ – ١٦٤٨) انقسامات كبيرة بين المذهب الكاثوليكي من جهة، والمذهب الإصلاحي البروتستانتي من جهة أخرى، التي اكتسبت صفتها كحدث مفصلي بارز صنع تاريخ أوروبا الحديث بالنظر إلى سلسلة الصراعات التي فجّرتها، والتي استمرت سنوات طويلة من خلالها عرفت بـ (حرب الثلاثين عاما)، وما تمخضت عنه مِن تحوّلات استراتيجية كبرى شكّلت منعطفاً في الفكر والسياسة وبناء الدولة الحديثة ووضع أسس العلاقات الدولية أيضاً، في البداية اندلعت الحرب في ألمانيا في صراع داخلي ديني طائفي بين الكاثوليك والبروتستانت، حيث كانت ألمانيا مقسّمة بالتعادل بينهما، ثم سرعان ما انتقلت إلى الدول الأوروبية الأخرى، إلى أنْ تحولت هذه الحرب الدِّينية إلى صراع سياسي على النفوذ بين تلك الدول، وهذا يؤكد صعوبة السيطرة على الصراعات المذهبية والدينية أو منعها من التمدد والتوسع([٢]).

وبسبب طول فترة الحرب وما احدثت من حالة الفقر والامراض والمجاعات والسلب والنهب، بالاضافة الى الكثير من الضحايا، يتضح من كل ما سبق ان حرب الثلاثين عاما التي حدثت في بدايتها على الصعيد الداخلي على شكل ديني عقائدي، وما يؤدي ذلك على رابطة المواطنة، وبالتالي ان هذه الحرب سوف تقود الى التدخل بسيادة الدولة، وهي نتيجة لحركة الاصلاح الديني وما نتج من انقسام اوربا الى معسكرين، فهي لم تكن حرباً محلية فقط، بل اصبحت حرباً اوربية اشتركت فيها العديد

وايضاً (مقالة في التعليم) و (العقد الاجتماعي)، توفي روسو في عام ١٧٧٨، وفي عام ١٧٩٤ نقل الثوار الفرنسيون رُفاته إلى البانتيون في باريس، للمزيد ينظر: جان جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢، ص٨-١١.

[١] بتول حسين علوان، مصدر سبق ذكره، ص١٣.

٢ عمار شاكر وحارث عبد الرحمن، حرب الثلاثين عام قراءة في الاسباب والنتائج، مجلة دراسات انسانية، جامعة سامراء، كلية التربية، العدد:٣٨، ٢٠١٤ص٤-٥.

من الدول الاوربية، كل منها يسعى الى تحقيق اهدافه، واخيراً عدت معاهدة ويستفاليا المعاهدة الاولى التي شكل القانون الدولي في ما يتعلق بمسألة سيادة الارض وعدم التدخل في الشؤون الداخلية من قبل دولة اخرى، الامر الذي ادى الى بداية جديدة، اضافةً الى حاولت المعاهدة الى تنظيم مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية، بانهاء تلك الحرب وفق سيادة القانون الدولي([1]).

لقد ساهمت في **القرن الثامن عشر** الثورات الإنكليزية والأمريكية والفرنسية عمليا في بلورة مفهوم للمواطنة يلتقي في جوانب منه مع توجهات وأفكار فلاسفة التنوير ،فلقد ظهرت في بريطانيا لائحة الحقوق البريطانية لعام (١٦٨٩) التي أعلنت عن حقوق وحريات المواطنين، ولكن بقيام الثورتين الأمريكية والفرنسية وارتباطهما بمفهوم الدولة الحديثة ، وضعت أهم الأسس التي ارتكز عليها مبدأ المواطنة الحديث، فالثورة الفرنسية، مثلا ،عملت على إلغاء الامتيازات والألقاب التي تمتعت بها فئة من الناس في العهد الملكي ، وأعلنت مبدأ المساواة للجميع [2].

وفي **القرن التاسع عشر** حدثت تغيرات كبرى متداخلة ومتكاملة مرت بها التغيرات السياسية التي ارست مبادئ المواطنة في الدولة القومية المعاصرة، ومنها:.

١- تكوين الدولة القومية الحديثة .

٢- المشاركة السياسية وتداول السلطة سلميا .

٣- إرساء حكم القانون وإقامة دولة المؤسسات .

أن هذه العوامل قد عملت، في واقع الأمر، على نقل المواطنة من المفهوم التقليدي ذي الجذور الإغريقية والرومانية إلى المفهوم الحديث لها ، وقد شهد مبدأ المواطنة منذ نهاية القرن الثامن الى وقتنا الحاضر تطوراً نوعياً وكمياً، وقد اتسع نطاق شموله لفئات المواطنين البالغين سن الرشد من الجنسين[3] .

١ المصدر نفسه، ص١٩-٢٠.

[2] المصدر نفسه،ص١٤.

[3] علي خليفة الكواري، مصدر سبق ذكرة، ص٨٧-٩٢.

الذي تبلور بجلاء عبر معظم **القرن العشرين** والذي استند إلى أفكار عصر النهضة والتنوير ومبادئ حقوق الإنسان واعتماد الشعب مصدرا للسلطات، وهكذا اصبح أحد الركائز الأساسية للعملية الديمقراطية [1] .

وخلاصة ما تقدم فإن فكرة المواطنة ترجع من الناحية التاريخية الى بدية ظهور دولة المدينة ، وشهدت الفكرة تطورا وتوسعا في العصر الروماني وفي عصر النهضة الاوربية اصبح هذا الموضوع الشاغل الاول للفكر الغربي وخصوصا بعد ثورتي امريكا وفرنسا ثم تطور الانظمة الديمقراطية حيث نمت هذه الفكرة بشكل كبير .

المطلب الثالث: اراء ومواقف تيارات الفكر العربي والاسلامي المعاصر من المواطنة

يوجد في الفكر العربي والاسلامي خلط وعدم الوضوح لدى المفكرين حول مفهوم المواطنة، فضلاً عن ان هناك من يتحدث دون تخصص من جهة، ويلغي من حساباته احياناً اختلافات البلدان واظمتها وسياساتها وخصوصياتها من جهة اخرى، ونستعرض الآراء حول المواطنة من وجهة نظر عربية اسلامية وفق التيارات ادناه.

اولاً: موقف التيار الاسلامي من المواطنة: يوجد في التيار الاسلامي ثلاث اتجاهات ازاء نظرتهم الى المواطنة وهم الاتجاه الرافض والمؤيد والتوفيقي ونستعرض هذه الاتجاهات كما يلي:

١-الاتجاه الرافض: يرى ان الاسلام يتناقض مع المواطنة في مضمونها القانوني، اذ يتجاوز الحدود بين الدول على اساس وحدة الدين او المذهب ، وينكرها على اساس انها تمنح من خلال العيش والمشاركة مع الاخرين في وجودهم بمكان جغرافي محدد ، اذ تنفي بعض الآراء عن الاسلام أيمانه بالمواطنة فمثلاً محمد اركون[(****)]، يرى ان

[1] سهاد عادل احمد، مصدر سبق ذكره، ص٣٢.

***** محمد أركون ولد عام ١٩٢٨ في بلدة تاوريرت ميمون بالجزائر، مفكر وباحث أكاديمي ومؤرخ جزائري يعد واحدا من أهم أقطاب الفكر العربي الإسلامي مفكر حداثي تنويري أسهم بدور كبير في دراسة العقل الإسلامي وتطويره بالرغم من انتقاده من البعض، إذ تعتبر اغلب افكاره على نحو ما استشراقيا، يعود ذلك الى انه عاش طويلا بفرنسا واستخدم المناهج الغربية واللغة الفرنسية لوضع نظريته حول العقل الإسلامي، عمل في العديد من الوظائف منها، التدريس، كأستاذ جامعي في مجموعة من الجامعات عبر العالم، منها جامعة السوربون، وجامعة ليون، وجامعة كاليفورنيا، وجامعة نيويورك، له العديد من المؤلفات منها، "الفكر العربي، (الإسلام أصالة وممارسة)، (الفكر الإسلامي: قراءة علمية)، (من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي)، (نزعة الأنسنة

مفهوم الجماعة السياسية في الاسلام يخلو من ايه محاولة لتطوير سياق المواطنة باعتبارها شرطاً ضرورياً لنشوء حكم القانون وظهور المجتمع المدني الذي يستطيع ان يكون دافعاً ومعوقا لسلطات الدولة طبقاً لمواقفها من قضايا الوطن، ولعل اهم الاشكالات التي تواجه مفهوم المواطنة الحديثة هو ان المواطنة تفترض تمتع الفرد الحاصل على جنسية بلد معين بالحقوق المدنية والسياسية، بينما المنظور الاسلامي تمنح الفرد المسلم فقط بهذه الحقوق وتمنع الفرد الغير مسلم من الحقوق السياسية فقط، لان صحيفة المدينة منحت المواطنين الغير مسلمين حقوق مدنية فقط[١].

ويذهب الباحث (عبد الله علي حسن) إلى محاولة تلخيص ابرز أخطار الأخذ بمفهوم المواطنة بالمفهوم الغربي بما يأتي[٢]:-

١- الأخذ بمفهوم المواطنة الغربي يعني إضاعة المفاهيم والأحكام المتعلقة بالولاء و البراء ، حيث يؤسس الولاء والبراء في المواطنة على أساس الحدود الجغرافية ولا يؤسس على الحقائق الإيمانية.

٢- تشتيت الأمة والتأكيد على انعزال أقطارها والمعاونة على عناية كل فرد بوطنه بغض النظر عن بقية أوطان المسلمين.

٣- إظهار إنَّ مفهوم الوطن والأمة بوصفهما مترابطين أو متلازمين، ومن ثم فانه يترتب على ذلك إدخال أو إدماج مفهوم المواطنة في مفهوم الأمة وينزع عن مفهوم المواطنة الصفات والأحكام التي هي لمفهوم الأمة.

وهناك من يبرر الآراء السابقة ، استناد إلى عدم وجود أساس فكري يلزم الإسلاميين بالتمسك بالحدود الوطنية (القائمة حاليا)، طالما أنَّ الإسلام يجعل كل الأرض متسعا للإنسان في الإقامة والتحرك في أي مكان من دون أن يختص بحدود

في الفكر العربي)، (قضايا في نقد العقل الديني)، وغيرها من المؤلفات، توفي ٢٠١٠م عن عمر ناهز ٨٢ عاما بعد معاناة مع المرض في باريس ودفن في المغرب، للمزيد ينظر: السيد ولد اباه، اعلام الفكر العربي: مدخل الى خارطة الفكر العربي الراهنة، ط١، الشبكة العربية للابحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٠، ص١٣٩-١٤٢.

[١] ياسين محمد حمد، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٥.

[٢] عبد الله علي حسن، المواطنة حصن الأمة ،(مصر : جامعة المنيا، ٢٠١١)، ص١٧.

معينة[١]، استنادا لقوله تعالى:(**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا**))[٢].

ومن هنا ، فإن الأمة الإسلامية ليس لها وطن جغرافي خاص ومحدود بحدود ثابتة لأنها لم تتكون على أساس عرقي ، أو لغوي ، أو أي أساس أخر للاجتماع البشري، لذلك يقال إنَّ الإسلام لم يكن اهتمامه تكوين دولة ، بقدر ما كان جل اهتمامه تكوين امة مسلمة.

٢-**الاتجاه المؤيد** : هذا التيار تميز بالأخذ بفكرة المواطنة كما هي معروفة في الدول الديمقراطية الحديثة، والعمل على ترسيخها في الدول الإسلامية استنادًا الى منطق إسلامي فقهي يوظف بعض قواعد أصول الفقه في الاستدلال ، وقد برز في هذا التيار عدد من الكتاب منهم (فهمي هويدي، وطارق البشري، وسليم العوا، واحمد كمال ابو المجد، والغنوشي واخرون)، الذين يتفقون في الهدف الذي أشرنا إليه أعلاه، ويختلفون في بعض الحجج التاريخية والشرعية التي يسوقونها لإثبات مقاصدهم، وسنعرض فيما يأتي لآراء وحجج بعضهم :

يذهب الدكتور محمد سليم العوا الى أن :"فكرة عقد الذمة ليست فكرة إسلامية مبتدئة، وإنما هي مما وجده الإسلام شائعًا بين الناس عند فأكسبه مشروعية وأضاف اليه تحصينًا جديدًا بأن، بعثة النبي (ص) حول عقد الذمة من ذمة المجير الى ذمة الله ورسوله والمؤمنين، أي ذمة الدولة الإسلامية نفسها، وبأن جعل العقد مؤبدًا لا يقبل الفسخ حماية للداخلين فيه من غير المسلمين"،[٣] فقد علق على ما جاء في صحيفة المدينة، بالقول" ان هذه الوثيقة تجعل غير المسلمين المقيمين في دولة المدينة مواطنين

[١] السيد محمد حسين فضل الله ، الحركة الإسلامية، هموم وقضايا، ط ٤، (بيروت: دار الملاك للطباعة والنشر، ٢٠٠١)، ص٢٨٧- ص٢٨٨.

[٢] سورة النساء ، الآية (٩٧).

[٣] نقلاً عن : هاشم يحيى الملاح، اشكالية الانتماء والمواطنة بين الفكر القانوني الحديث والفكر الاسلامي المعاصر، مركز الدراسات الاقليمية، جامعة الموصل، العدد١٣، ٢٠٠٩،ص٢٠-٢١.

فيها، لهم حقوق مثل ما للمسلمين، وعليهم من الواجبات مثل ما على المسلمين" ان هذا الراي الذي يقدمه العوا يتوافق بالتمام مع مبدأ المواطنة بمفهومها المعاصر"[١].

ويذهب فهمي هويدي الى ان الصيغة الإسلامية في تنظيم علاقات المسلمين مع أهل الذمة كانت صيغة متقدمة بالنسبة الى زمانها، الا أن التطورات التاريخية في هذا المجال تشير الى انه قد تم تجاوز هذه الصيغة بعد ظهور مفهوم المواطنة التي تقوم على فكرة المساواة بين المواطنين، ويدعو هويدي الى تفعيل دور الاجتهاد الإسلامي عن طريق التمييز بين المرجعية الإسلامية العامة التي يتوجب الالتزام بها، وبين الصياغات الفقهية التي هي قابلة للمراجعة والقبول والرفض بما في ذلك مفهوم الذمة الذي يعتبره قيمة تاريخية ليس فيها أي وجه من وجوه الالزام، في ضوء ما تقدم يدعو هويدي الى التخلي عن مفهوم أهل الذمة، وما يتصل بها من أداء الجزية، واستبدال ذلك بفكرة المواطنة اصطلاحًا ومضمونًا [٢].

يؤكد راشد الغنوشي ، بأن المواطنة لها معياران، لا تقرر الا بهما في الحياة السياسية الاسلامية: الاول: يتجلى في الانتساب الديني، اما الثاني: فيتمثل في الاقامة، والذي يقصده الغنوشي هنا هو ان الدين يخول المسلمين حقوقاً لايتمتع بها غيرهم، غير ان المسلم غير المقيم لا يمكن ان يتمتع بحقوق المواطنة حتى لو اقر بشرعية الدولة لان شرط الاقامة مكمل لشرط الدين في التمتع للمواطنة[٣].

برغم من اختلاف اصحاب هذا التيار ازاء مفهوم المواطنة وكيفية اكتسابها وهل يجوز تولي غير المسلم للمناصب الحكومية، الا انهم كانوا اكثر تقرباً من مفهوم المواطنة في الدول الحديثة.

٣-الاتجاه التوفيقي: يرى وجود هذا المفهوم في الفكر العربي الاسلامي، بل ويذهب في هذا الموضوع بعيداً ليستدل به بأن الرسول(ص) اول من وضع المعنى الحقيقي

[١] نقلا عن: مالك حميد حمزة ، اشكالية المواطنة في الفكر الاسلامي المعاصر، مجلة جامعة اهل البيت، مج ٢، العدد ٩،٢٠٠٩،ص ١٦٨.
[٢] نقلاً عن:هاشم يحيى الملاح، مصدر سبق ذكره،ص٢٠-٢٥.
[٣] مالك حميد حمزة، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٧.

لمفهوم المواطنة المسؤولة، والمحددة بحدود المدينة[1]، هكذا حاول بعض الباحثين والمفكرين تفسير هذا المفهوم من منظور ديني ومن اوجه مختلفة اعتقاداً منهم بأنه على الرغم من ارتباط مفهوم المواطنة بالدولة القومية التي ظهرت في اوربا ابان عصر النهضة، الا ان دلالة هذا اللفظ يمكن ان تجد لها جذور في الفكر الاسلامي ولكن تحت عناوين اخرى غير المواطنة كالأمة او الولاية، اذ يربط (عصام عريان) المواطنة بالموالاة، ويربط (رضوان السيد) بين مصطلحي(دار السلام والمواطنة) ، على اساس ان ما يتضمنه مفهوم دار السلام هو نفسه ما تتضمنه المواطنة، ويرى (شمس الدين)، ان المواطنة تعني الولاية بمعنى المعاضدة والتناصر وحقوق المواطن وينشأ الانتماء من الالتزام بالمشروع السياسي للمجتمع وتحمل الواجبات والمسؤوليات التي يفرضها المشروع السياسي، وبذلك يتحقق الانتماء وينشأ منه التلبس بمفهوم المواطنة، ويترتب على الالتزام بالمشروع السياسي للمجتمع الانتماء إلى المجتمع السياسي والدولة ، وتتحقق لجميع الأعضاء ،مسلمين وغير مسلمين، صفة المواطنة(الولاية) ويترتب عليه نشوء حقوق للمواطن غير المسلم على المجتمع السياسي وعلى الدولة [2].

وهذا الاتجاه يتماهى مع المظاهر العامة، ويواكب تطورات العصر، والدكتور يوسف القرضاوي كان ابرز ممثلي هذا الاتجاه، اذ يدعوا المجتمع الاسلامي الى انفتاح اكثر نحو الديمقراطية المعاصرة، اذ يؤكد ان الإسلام قد أعلى من شأن الرابطة الدينية وقدمها على كل الروابط الأخرى لذا فقد عد المسلمين إخوة في الدين، ولكنه لا يلبث ان يوضح" ان هناك الوانًا من الأخوة يعترف بها الإسلام غير الأخوة الدينية، فهناك الأخوة الوطنية، والأخوة القومية، والأخوة الإنسانية، اذ يرى القرضاوي ان من حق المواطن غير المسلم أن يساهم في التشريع للأمة فيما ليس فيه نص محكم "وذلك من خلال تمكينهم من دخول المجالس النيابية ليمثلوا فيها بنسبة معينة مادام المجلس في أكثريته الغالبة من المسلمين"، ويعد ذلك من باب البر والعدل" حتى لا يشعروا بالعزلة عن بني وطنهم، ويستغل ذلك أعداء الإسلام والمسلمين، ليغرسوا في قلوبهم العداوة

[1] ياسين محمد حمد، مصدر سبق ذكره، ص٢٥٤-٢٥٥.
[2] المصدر نفسه، ص ٢٥٥.

والبغضاء للمسلمين، وفي هذا ما فيه من ضرر وخطر على مجموع الأمة مسلمين وغير مسلمين [١].

وهذا الاتجاه انفتح بعض الشيء على مفهوم المواطنة ولكن بشكل متحفظ اذ بقي في اطار المفاهيم الاسلامية ازاء المفهوم، والخلاصة إن الفكر الإسلامي المعاصر لم يتفق على موقف موحد من الوطنية والمواطنة، إذ تنازعته مشارب مختلفة ، انطلاقا من اختلاف النظرة إلى الموضوع . فالبعض يحاول أن ينطلق من الواقع ويكيّف الرؤية الإسلامية طبقا له، والآخر ينطلق من الإسلام ونظرته الشاملة ويلغي الواقع .

وإذا كان لنا أن نحدد مفهوما للمواطنة على أساس نظرتنا إلى الإسلام ، فانه يمكن القول ، أن المواطنة تقوم على الوطن القائم على عنصر الإقليم، وفق المنظور الحديث وليس على اساس النظرة الاسلامية القديمة القائمة على اساس الامة، (أي المواطنة القائمة على اساس عقائدي)، اذ يعد جميع المسلمين مواطنون في مختلف الاقاليم، وكلا الأمرين، يحملان جانبا من التطور، فالإقليم على مستوى الفهم المعاصر قابل للتوسع باتساع حركة الدعوة عالميا، ولذلك فان مفهوم المواطنة في الإسلام مفهوم مرن، يتطابق مع العالم كله في حالة قيام الدولة الإسلامية العالمية، وقد يضيق إلى حد الدولة القطرية أحيانا، كما هو الحال مع الدول الإسلامية الحالية .

ثانياً: موقف التيار القومي(الاشتراكي) العربي من المواطنة: يمكن استشفاف بعض المقاربات القومية لمبدأ المواطنة، وهي في عمومها غير مباشرة ، بل مرتبطة تحديداً بمعالجة الديمقراطية، فإنه بإمكاننا متابعتها وفق الخطوط العريضة التالية :

١ – **الفكر القومي للمؤسسين الأوائل:** نادراً ما نجد هنا أية معالجة مباشرة لمبدأ المواطنة تعريفاً وتفصيلاً وإقراراً . وهذا يعود بالدرجة الأولى إلى الاستغراق التام الذي استحوذ على رعيل القوميين الأوائل في مسألة بعث الهوية العربية، وتعريف الفرد العربي ضد هويات وتعريفات أخرى منافسة : عثمانية وفرعونية وفينيقية الخ، ومن رواد هذا العصر عبد العزيز الدوري، و عبد الحميد الزهاوي ورفيق العظم وصلاح الدين

[١] هشام يحيى الملاح ،مصدر سبق ذكره، ص١٢.

القاسمي وعبد الغني العريسي وعمر فاخوري ونجيب عازوري ساطع الحصري وغيرهم، انهماك أولئك الرواد كان منصرفاً إلى قضايا بعث يقظة عربية مشتركة، والدفاع عن هوية جامعة للعرب ، وصياغة العلاقة بين العروبة والإسلام ، وفصلها عن العلاقة بين العرب والعثمانيين وسوى ذلك والاشتغال على البنية التحتية « الهوياتية » التي يصعب تصور قيام شكل من أشكال المواطنة من دون الانتهاء منها [١] .

٢- **الفكر القومي العلمي:** هنا نعثر على مقاربات في كتابات قسطنطين زريق تناقش بشكل أو بآخر بمبدأ المواطنة بمفهومه الحديث، وتعكس إلى حد بعيد ملامحه الأساسية التي قد تأسست في إطار علاقتها بالدولة . الأمة، المهم في مطالعة قسطنطين زريق غير المباشرة لموضوعة المواطنة أنه تحدث بوضوح عن مركزية كرامة أبناء الوطن كشرط للحياة الوطنية الصحية ، وهذا مع الانتباه إلى أنه لم يعط الديمقراطية الاهتمام المناسب في معالجاته القومية، وبالتالي لم يساهم في تطوير مفهوم المواطنة بشكل حاسم في عمارة الفكر القومي بشكل عام ، لكن يمكن القول بأن أهم وأوسع مقاربة قومية لفكرة المواطنة ولفكرة الفرد والمواطن، وردت في كتابات منيف الرزاز ثمّة قلق وخشية حقيقيان، من دون غابات التوظيف الشعاراتي، يبديهما الرزاز حول علاقة الفرد بالسلطة، وبخاصة لجهة تغول الثانية على الأول . فهو يقرر بشكل لافت، وخلافاً للمنهج القومي التقليدي في تقديم المجموع على الفرد، اذ يعد الرزاز ان من سلبيات المواطنة القومية هي [٢] :

١. ان أساس المجتمع كله يجب أن يهدف إلى مصلحة الفرد كما يفهمها الفرد نفسه لا كما يفهمها عنه المجتمع وهذا يولد معضلة عدم قناعة الفرد بشرعية السلطة والواجبات التي تفرضها عليه .
٢. يذكر بأن الفرد قد لا يمكن أن يؤمن بأنه يتحمل نصيبه من الواجبات، لأنه لا يشعر بأنه يسعد بحقوقه .

[١] خالد الحروب، مبدأ المواطنة في الفكر القومي العربي: من الفرد القومي الى الفرد المواطن، مجموعة باحثين، المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية،(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠١)، ص٩٢-٩٣.
[٢] المصدر نفسه، ص٩٥-٩٦.

٣. ان الفرد غير مقتنع بهذه الواجبات التي تفرضها عليه حكومات لا علاقة له بها، ولأنه لم يبين رأيه فيها، ولم يكن له يد في تشكيلها .

٣- الفكر القومي الثوري: في أدبيات هذا الفكر العالية النبرة ليس ثمة اهتمام جدي أو مركب بموضوعة المواطنة أو إيلاء مفهوم المواطن الأهمية اللازمة، وكذا تحرير العلاقة بين الفرد والوطن أو الأمة التي ينتمي إليها من زاوية الحقوق والواجبات القانونية ، كما هي معروفة في الفكر الحديث المؤطر لفكرة المواطنة . الاهتمام هنا منصب على « الشعب » و « الجماهير » من ناحية، وعلى الدولة » نفسها باعتبارها التجسيد الفعلي للفكرة القومية، لعبد الله الريماوي، وضمن الدائرة نفسها، نجد أن شبلي العيسمي لا يولي أي اهتمام معتبر لأي مكون ديمقراطي لهذه الرسالة يمكن أن يتفرع عنه إعلاء لمبدأ المواطنة أو تنظير به وحتى عندما يتطرق إلى الموضوع الديمقراطي، فإن عدم الصدقية تفرغ معالجته من أي أهمية، فإن الخيبة وفقدان الصدقية في الكثير من الطروحات القومية في مضمار حقوق الإنسان والدفاع عنه ضد نهج بعض الأنظمة، جاء نتيجة طبيعية لمواقف كبار منظري القومية وانحياز بعضهم للأنظمة على حساب الجماهير، وكذلك نجد أن سعدون حمادي سار بنفس اتجاه سابقيه[١].

٤- الدولة القومية / القطرية العربية و " المواطنة الحزبية القبلية": مقابل النبذ والاحتقار القومي البالغ للدولة . الأمة، أو الدولة القطرية كانت وقائع السياسة العربية في حقبة ما بعد الاستقلال عن الاستعمار تعمل على تكريس هذه «الدولة القطرية »، ويفترض بالتالي مبدأ المواطنة ،لكن بموازاة صرامة الدفاع عن الدولة القطرية، لم يكن هناك أي إصرار على تكريس مفهوم المواطنة وتنميته ديمقراطياً فيما عدا محاولة فرض صيغه من الولاء السياسي القسري من دون حقوق مثقلة بالواجبات، ومع طغيان أنماط الحكم المستبد في الأقطار العربية المستقلة حديثاً وبداية ترسخها منذ عقدي الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي، توارى من ناحية عملية مبدأ المواطنة وعلى خلفية شعارات كبرى من وزن الوحدة والحرية

[١] المصدر السابق، ص٩٦-١٠٠.

والاشتراكية ومواجهة المشروع الصهيوني، كرست دولة الحزب الواحد وجودها، نافية أية أهمية للمشاركة السياسية وتنويعاتها كالتعددية والديمقراطية والمواطنية ، وتمت مماهاة « الفرد القومي »، وبما يفترضه هذا التعريف من واجبات وحقوق، أو بالأحرى امتيازات، بـ « العضو الحزب » الذي تجسد فيه ما يمكن تسميته مبدأ " المواطنية الحزبية" ، وهذه المواطنية الشائعة عنت من ناحية عملية انقسام المجتمع إلى حزبيين وذميين . وقد تفاقم الشرخ الفاضح إلى درجات موغلة في الإجحاف بحق الأغلبية نفسها عندما تحول الحكم القومي المفترض إلى حكم طائفي أو عشائري ارتد إلى صيغ عصبوية، بـ « مواطنة الحزبية القبلية »[1].

من عيوب هذه المواطنة لم يكن ثمة أهمية حقيقية تولي للفرد المواطن لمجرد ذاته، وكل ما تم طرحه هو دور وواجبات هذا الفرد من دون الحديث عن حقوقه، كذلك يعاب على هذا النوع من المواطنة، على انها اعادت تقسيم المجتمع إلى أقلية جديدة حاكمة أكثر ضالة من ناحية الحجم من الأقلية الحزبية ، إذ هي تقاطع طائفة أو عشيرة الرئيس مع الطبقة المتنفذة من الحزب الحاكم، وليس الحزب كله، ضد غالبية كاسحة لكن مقموعة، هي بقية الشعب المحروم من امتيازات طبقة«الحزب القبيلة » [2].

٥-النظرة القومية الراهنة إلى مبدأ المواطنة: يمكن القول بأن التيار القومي الرئيسي يتجمع في الوقت الراهن في دوائر المفكرين والمثقفين والمسيسين قطعت بشكل شبه نهائي مع فكرة « المواطنة الحزبية »، وانحازت بوضوح إلى مبدأ المواطنة » بمعناه الغربي الحديث المؤسس على مساواة كاملة لأفراد المجتمع وتعريف علاقتهم القانونية ، واجبات وحقوقاً ، بالدولة القطرية الوطنية التي ينتمون إليها ، والأهم من ذلك، والمؤطر له، هو تبني التيار القومي الحديث للديمقراطية واعتبارها واحداً من الأسس التي لا يمكن إنجاز نهضة قومية شاملة من دون تحقيقها في الأقطار ثم على مستوى قومي، وما يرتبط بالديمقراطية من حقوق إنسان ، وإعلاء شأن الفرد وتنظيم العلاقة السياسية والقانونية بينه وبين الدولة، ومن رواد هذا التطور(عبد الإله بلقزيز محمود عبد

[1] المصدر نفسه، ص ١٠٦-١٠٧.
٢ المصدر نفسه، ص ١٠٦-١٠٧.

الفضيل)[١] لذا نرى في هذا التيار كيف اصبح مفهوم المواطنة من حالة عدم الاهتمام به في بداية ظهوره واستخدامه الى وضع يتسم بالاهتمام والاعتراف به كما هو موجود في بقية الدول الغربية المتقدمة واصبحت الديمقراطية مرتكزا اساسياً تقوم علية فكرة المواطنة والدولة القومية.

ثالثاً: موقف التيار الليبرالي العربي من المواطنة: اذ يعد هذا التيار اكثر وضوحاً بموقفة ازاء مفهوم المواطنة اذ اكد على تبني المواطنة كما موجودة في الدول الغربية وتطبيق ما يحمله هذا المفهوم من ركائز وقواعد وقيم وتأكيده على الفرد وحقوقه وواجباته اتجاه الدولة، وتغيير الاساس الذي قام علية هذا المفهوم هو ما شكل عائق واشكاليات تطبيقه في الدول العربية. اذ يشير ايليا حريق في المواطنة والقيم المدنية، ان معضلة تطبيق المواطنة المستند اساساً الى الفردية، هوه اسناد هذا المفهوم الى الجماعة في المقاربة القومية والاسلامية، ويتابع حريق ملاحظته حول اشكاليات المواطنة اذ يقول" الاتجاه الثالث الذي يؤثر على مفهوم المواطنة في الثقافة السياسية العربية فهو السلطوية، ففي الانظمة السلطوية او الاستبدادية يصاغ مفهوم المواطنية بتعابير قانونية مثل التبعية، التي تتجسد في منع جواز السفر، وتتساوى المواطنية من كافة الجوانب الاخرى مع مصطلح الرعية"[٢].

اما برهان غليون يعتقد ان المواطنة تحالف بين اناس يتمتعون بالحقوق والواجبات نفسها، اناس احرار لا تمييز بينهم في درجة مواطنيتهم واهليتهم العميقة لممارسة حقوقهم الوطنية بصرف النظر عن درجة ايمانهم التي لا يمكن قياسها وقدرتهم على استلهام المبادئ والتفسيرات السياسية بمفهومها الجديد، فالولاء في التصور العربي ا يتعلق بمستوى اعلى واسمى كثيراً من الدولة، الولاء لا يكون الا للفكرة[٣] .

---

[١] قرو مريم، بوجاهم مريم، المواطنة وحقوق الانسان محمد عابد الجابري انموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ٨ماي ١٩٤٥قالمة، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية،٢٠١٧،ص٤٢-٤٣.

[٢] جورج القصيفي ، تعقيب، مجموعة مؤلفين، المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية ، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،٢٠٠١)،ص٤٢.

[٣] نقلا عن: مالك حميد حمزة ، مصدر سبق ذكره، ص١٦٦.

يرى علي خليفة الكواري ان المواطنة هي التأكيد على الجوانب القانونية والسياسية مما لهن من اولوية وفاعلية على الحقوق الاخرى لما توفرانه من ضمانات حقة لتنمية امكانيات النضال السياسي السلمي لاستخلاص الحقوق الاخرى، فمن خلال الحماية القانونية والفعالية السياسية التي يوفرانها وما يقرانه ويسمحان به من شرعية العمل الجماعي الحزبي، وتوفير الوسائل السلمية الاخرى التي تمسح للمواطن افراداً وجماعات التأثير في القرارات التي تأمن مصالحهم ، وعندما يتحقق الانتماء للوطن ويتحقق ولائهم لوطنهم ومواطنة كل منهم للأخر بفضل المشاركة العادلة في الخيرات واتخاذ القرارات، هنا تنتقل الديمقراطية من مجرد توافق او ترتيب سياسي تعكسه النصوص القانونية لتصبح المساواة في الحقوق والواجبات قيمة اجتماعية واخلاقية يعتبر ادائها من قبل المواطن عن نضج ثقافي ورقي حضاري وادراك سياسي حقيقي لفضلية معاملة المواطنين على قدم المساواة دون تمييز [1].

فهذا الاتجاه كان موقفة تبي المواطنة كما موجودة في الدول الغربية ومحاولة الاستفادة منها من اجل تطوير واقع بلدان الدول العربية.

وفي الختام تختلف مواقف الاتجاهات السابقات الذكر ازاء مفهوم المواطنة وهذا الاختلاف ينطلق من الخلفية التي يحملها مفكرين كل اتجاه ، وهنالك اختلافات داخل الاتجاه الواحد فمنهم من يؤيدها بشكلها المعروف عند الغرب ومنهم من يتحفظ عليها ومنهم من يحاول التمسك بالأصول ومحاولة التجديد على مستوى الفروع، ولكن المواطنة بشكل عام قد مارست على مستوى الفكر والواقع العربي والاسلامي منذ نزول الرسالة السماوية، اذ اول تمظهراتها هي (صحيفة المدينة) الى الوقت الحالي ولكن بصيغ مختلفة حسب تطور البلدان واختلاف الثقافات والمجتمعات في كلا العالمين الغربي والعربي.

اما نحن كبلدان اسلامية في منطقة الشرق الاوسط، نحتاج الى تطبيق مفهوم المواطنة الذي يجمع بين مرتكزات المواطنة في اطار اسلامي مع اخذ المرتكزات التي تتواكب

[1] علي خليفة الكواري، مصدر سبق ذكره، ١٠٢-١٠٣.

مع الاطار الاسلامي من المواطنة المعاصرة اي مواطنة تجمع بين اصول ممارستها الاسلامي ومواكبة التطورات المعاصرة لها من دون اي خلل.

الخاتمة

فالمواطنة كما أنتجها الفكر السياسي الغربي كرست المساواة في الحقوق، وأعطت للنضال السياسي بعده السلمي، بتوسيع دائرة المشاركة السياسية، دون تمييز ديني أو عرقي، وإنما باعتماد الانتماء الوطني، وهذا لا يتعارض مع الدين وإنما يحقق مقاصده العمراني، والتعايش الإنساني .

غير أن المسيرة التاريخية للمواطنة ، والتفاعلات السياسية الطارئة حاليًا مع وجود أقليات مسلمة في العالم الغربي، أخذت تظهر مطالب جديدة تكتسي طابعا حقوقيّا ودينيا في الوقت نفسه، وهو ما يجعل المواطنة في مأزق حقيقي، بحيث يتحول عدم تميز المسلمين عن غيرهم، والانتقاص من حقوقهم باسم مرجعية الدولة العلمانية، وما نحتاجه فعلا أن نلحق بركب الدول الديمقراطية في إطار مواطنة عالمية تؤمن بالأخر ولا تلغيه، وتساهم في إثراء التنوع الإنساني بمختلف تجليات، ولكن مع الوعي بان نهضة الشعوب تتأتي بمعرفة ماضيها وإدراكه ونقده، ذلك أنه لكل حضارة خصوصية ولكل شعب من الشعوب ثقافته ومميزاته وخصوصياته الواجب إغناءها وذلك في إطار التثقف أو التعارف بتعبير قراني فالمواطنة الكاملة عمليا غير محققة في الواقع ، ولا يمكن تحقيقها بشكل مطلق، وما يمكن الحديث عنه هو المساواة أمام القانون في الحقوق والواجبات العامة.

ومن خلال ذلك فان اهم الاستنتاجات التي توصل اليها الباحث توضح كالاتي:

اولاً: الاستنتاجات

١- التعقيد التي يتسم به مفهوم المواطنة، واختلافه من مفكر الى اخر وكذلك اختلافه من حقبة زمنية الى اخرى، فانة بالتالي لم يتم التوصل الى تعريف شامل يحظى بقبول الجميع.

٢- بالرغم من ان نشأة المواطنة وظهورها في الغرب، الان ان تطبيقها في الفكر العربي والاسلامي نجده حاضراً منذ ظهور الاسلام، اذ كان غير المسلمين يتمتعون بنفس حقوق المسلمين عدا حق تولي الحكم او المناصب.

٣- الأمة الإسلامية ليس لها وطن جغرافي خاص ومحدود بحدود ثابتة لأنها لم تتكون على أساس عرقي، أو لغوي، أو أي أساس أخر للاجتماع البشري، لذلك يقال إنَّ الإسلام لم يكن اهتمامه تكوين دولة، بقدر ما كان جل اهتمامه تكوين امة مسلمة.

٤- الفكر العربي المعاصر على اختلاف اراءه ومفكريه لم يكن على درجة واحدة من حيث القبول والرفض للمواطنة، فالبعض يحاول أن ينطلق من الواقع ويكيّف الرؤية الإسلامية طبقا له، والآخر ينطلق من الإسلام ونظرته الشاملة ويلغي الواقع.

٥- ان تطور مفهوم المواطنة من عدم الاهتمام به الى ان وصل الى الاعتراف به كما هو موجود في بقية الدول الغربية المتقدمة، واصبحت الديمقراطية مرتكزا اساسياً تقوم علية فكرة المواطنة والدولة القومية.

ثانياً: التوصيات

١. الاهتمام اكثر من قبل الباحثين في موضوع المواطنة وبيان اسسه ومرتكزاته في الفكر العربي الاسلامي وبيان نقاط الالتقاء بين المفهوم الغربي والمفهوم العربي للمواطنة من اجل تقوية قبول الاخر غير المسلم داخل البلد وتقوية العلاقة بين الافراد على مختلف اديانهم وقومياتهم من جهة وبين الافراد والدولة من جهة اخرى.

٢. الاهتمام بهكذا مواضيع تحاول اخذ وبلوره ايجابيات المفهوم لكلا الفكرين الغربي والعربي من اجل توعية الناس والعمل على اشاعه المحبة والسلام بين جميع افراد المجتمع .

٣. ضرورة الاخذ بهذه المواضيع وجعلها مواد اساسية تدرس في جميع الحقول الانسانية بشكل عام وحقل علم السياسة بشكل خاص، باعتبار ان الشعب من عناصر الدولة الاساسية، وما له علاقة بتكوين المواطنة.

قائمة المصادر

القران الكريم

أ: المصادر العربية

اولا: المعاجم

١. محمد ابن منضور، لسان العرب، ج١٥،(القاهرة: دار المعارف، د ت).
٢. مراد وهبه: المعجم الفلسفي،(القاهرة: دار قباء الحديثة ، ٢٠٠٧).

ثانياً: الكتب العربية

١. احمد مجدي حجازي، المواطنة وحقوق الانسان في ظل المتغيرات الدولية الراهنة، (القاهرة: الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٩).
٢. جان جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢.
٣. جورج القصيفي ، تعقيب، مجموعة مؤلفين، المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية ، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،٢٠٠١).
٤. خالد الحروب، مبدأ المواطنة في الفكر القومي العربي: من الفرد القومي الى الفرد المواطن، مجموعة باحثين، المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية،(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠١).
٥. السيد محمد حسين فضل الله ، الحركة الإسلامية، هموم وقضايا، ط ٤، (بيروت: دار الملاك للطباعة والنشر، ٢٠٠١).
٦. السيد ولد اباه، اعلام الفكر العربي: مدخل الى خارطة الفكر العربي الراهنة، ط١، الشبكة العربية للابحاث والنشر، بيروت، ٢٠١٠.
٧. عبد الرضا الطعان واخرون، الفكر السياسي الغربي الحديث والمعاصر، دار السنهوري، ج١، بغداد، ٢٠١٨.
٨. عبد الله علي حسن، المواطنة حصن الأمة ،(مصر : جامعة المنيا، ٢٠١١).
٩. عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، ج٥، ط١،(بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٤)
١٠. عبدالله العروي، مفهوم الدولة، ط٩، المركز الثقافي العربي، بيروت،٢٠١١.
١١. علي خليفة الكواري، مفهوم المواطنة في الدولة الديمقراطية، مجموعة مؤلفين، الديمقراطية والتنمية الديمقراطية في الوطن العربي، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،٢٠٠٤).

ثالثاً: الدوريات العلمية

١. احمد صدام ايدام، سبل تعزيز ثقافة المواطنة في عراق ما بعد التغير السياسي، مجلة تكريت للعلوم السياسية، جامعة تكريت، كلية العلوم السياسية، العدد٢٠١٨،١٥.
٢. اسامة عبد علي خلف، مفهوم المواطنة- دراسة نظرية تفصيلية، مجلة كلية التربية بنات، جامعة بغداد، مج ٢٥، العدد٢٠١٤،٢.
٣. سميرة لغويل، قيم المواطنة في المجتمع الجزائري: دراسة تحليلية، مجلة الاستاذ للعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة باتنة- الجزائر، مج ٥٨، العدد٢، ٢٠١٩.

٤. كمال حسين دهام، مفهوم المواطنة واليات تعزيزها، مركز الدراسات الاقليمية، جامعة الموصل، العدد١٣، ٢٠١٩.
٥. مالك حميد حمزة ، اشكالية المواطنة في الفكر الاسلامي المعاصر، مجلة جامعة اهل البيت، مج ٢، العدد٩، ٢٠٠٩.
٦. هاشم يحيى الملاح، اشكالية الانتماء والمواطنة بين الفكر القانوني الحديث والفكر الاسلامي المعاصر، مركز الدراسات الاقليمية، جامعة الموصل، العدد١٣، ٢٠٠٩.
٧. ياسين محمد حمد، المواطنة في ظل العولمة، مجلة قضايا سياسية، جامعة النهرين ، كلية العلوم السياسية، العدد ٣٥-٣٦، ٢٠١٤.
٨. ياسين محمد حمد، المواطنة في ظل العولمة، مجلة قضايا سياسية، جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، العدد٣٥-٣٦، ٢٠١٤.

رابعاً: الرسائل والاطاريح الجامعية

١. بتول حسين علوان ، المواطنة في الفكر الاسلامي المعاصر، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد ، كلية العلوم السياسية، ٢٠٠٦.
٢. ديملي فلاق، حفاف لويزة، مفهوم المواطنة والسيادة عند جان جاك روسو، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجيلالي بونعامة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة،٢٠١٥.
٣. سهاد عادل احمد، الاقليات والوحدة الوطنية في العراق المعاصر، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة المستنصرية، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية.
٤. قرو مريم، بوجاهم مريم، المواطنة وحقوق الانسان محمد عابد الجابري انموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ٨ماي ١٩٤٥قالمة، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية،٢٠١٧.

ب: المصادر الانكليزية

1. Veera Ilona lija, An Analysis of the Concept of Citizenship: Lagal, political and social Dimensions, Masters thesis, university of Helsinki, Faculty of social sciences, social and Moral Philosophy, 2011,p13.
2. Gabriel de la paz, citizenship and social inequality, enter time 2019\10\13 across https://www.civiced.org/pdfs/delaPazGabriel.